جامعة كربلاء
كلية العلوم الإسلامية
دراسات اسلامية معاصرة / العدد 47 / آذار 2026

السلطة الإلهية للإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف في القرآن الكريم (دراسة مقارنة)

The Divine Authority Of Imam Mahdi (May God Hasten His Reappearance) In The Holy Quran (A Comparative Study)

م.م. زينب محمد قاسم
Zainab Muhammad Qasim

جامعة الزهراء
University Of Al-Zahraa

الكلمات المفتاحية: الإمام المهدي، السلطة الإلهية، القرآن الكريم، الخلافة، التفسير المقارن، العدل الإلهي، مدرسة أهل البيت، المهدي المنتظر.

Keywords: Imam Mahdi, divine authority, the Holy Quran, caliphate, comparative interpretation, divine justice, the Ahl al-Bayt school, the awaited Mahdi.

الملخص:

يتناول هذا البحث موضوع السلطة الإلهية للإمام المهدي (عج) من منظور قرآني، ويعتمد على منهج الدراسة المقارنة بين المفسرين من المدرستين السنية والشيعية، بهدف الوقوف على الآيات التي يُستدل بها على وجود الإمام المهدي (عج) وولايته، ودوره الإلهي في مستقبل البشرية.

يركّز البحث على تحليل الآيات التي فسّرها العلماء بأنها تشير إلى حتمية ظهور الإمام المهدي، وتكليفه الإلهي بقيادة الأمة لتحقيق العدل الإلهي بعد انتشار الظلم، مثل قوله تعالى: "وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ..." (القصص: 5)، وآيات الخلافة، والإرث الإلهي، والنصر الإلهي.

كما يقارن البحث بين تفاسير علماء الشيعة الذين يرون أن الإمام المهدي هو الامتداد الطبيعي للنبوة والإمامة، وله سلطة إلهية مفوَّضة، وبين آراء بعض المفسرين السنّة الذين يقرّون بظهور المهدي ولكنهم يختلفون في تفاصيل شخصه ومكانته.

ويخلص البحث إلى أن السلطة الإلهية للإمام المهدي (عج) تستند إلى أصول قرآنية متينة، وأن الإيمان بظهوره جزء من عقيدة الانتظار الإيجابي، ويمثل الأمل في إقامة دولة العدل الإلهي.

Abstract

This research addresses the divine authority of Imam Mahdi (may God hasten his reappearance) from a Quranic perspective. It relies on a comparative study approach between Sunni and Shiite commentators, with the aim of identifying the verses that prove the existence of Imam Mahdi (may God hasten his reappearance), his authority, and his divine role in the future of humanity.

The research focuses on analyzing the verses that scholars have interpreted as indicating the inevitability of the appearance of Imam Mahdi and his divine mandate to lead the nation to achieve divine justice after the spread of injustice. These verses include the Almighty's statement: "And We desired to bestow a favor upon those who were oppressed in the land..." (Al-Qasas: 5), and the verses on the caliphate, divine inheritance, and divine victory. The study also compares the interpretations of Shiite scholars, who view the Imam Mahdi as the natural extension of prophethood and imamate, with the views of some Sunni commentators who acknowledge the appearance of the Mahdi but differ on the details of his person and status.

The study concludes that the divine authority of the Imam Mahdi (may God hasten his reappearance) is based on solid Quranic principles, and that belief in his appearance is part of the doctrine of positive anticipation and represents the hope for the establishment of a state of divine justice.

المقدمة

إن الإيمان بوجود الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف) وظهوره في آخر الزمان لإقامة القسط والعدل يُعدّ من الركائز الأساسية في الفكر الإسلامي، لا سيما في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وقد تناول القرآن الكريم العديد من الآيات التي تشير إلى وراثة الأرض للمستضعفين، وتحقيق الوعد الإلهي بظهور قائمٍ يقيم العدل بعد أن تملأ الأرض جوراً وظلماً، ومن هنا نشأت فكرة هذا البحث الذي يسعى إلى دراسة السلطة الإلهية للإمام المهدي (عج) عن طريق القرآن الكريم، وبيان كيف أن هذه السلطة ليست اجتهادية أو مكتسبة من الأمة، بل هي مفوَّضة من الله سبحانه وتعالى، وفقاً لمفاهيم قرآنية راسخة.

يُعالج هذا البحث مجموعة من الآيات الكريمة التي فُسّرت بأنها تشير إلى الإمام المهدي ودولته المباركة، ويقوم بمقارنة تفسير هذه الآيات بين المفسرين من الطائفتين السنية والشيعية، محاولاً استكشاف نقاط الالتقاء والاختلاف بينهم، والكشف عن العمق العقدي الذي تقوم عليه فكرة الإمام المهدي كقائد إلهي منتظر، ويهدف هذا الجهد إلى تعزيز الفهم القرآني لفكرة المهدوية، وتثبيت أسسها الشرعية في النص القرآني بعيداً عن الروايات فقط.

مشكلة البحث:تكمن مشكلة البحث في أن هناك غموضاً أو تبايناً في تفسير كثير من الآيات المرتبطة بالإمام المهدي (عج) بين المدرستين التفسيريتين، ما أدى إلى اختلاف في فهم طبيعة سلطته، وهل هي سلطة دينية إلهية مفوَّضة أم سلطة قيادية بشرية مرتبطة بالظروف الزمنية والسياسية، كما أن هناك قصوراً في إبراز الجذور القرآنية للعقيدة المهدوية في الدراسات التفسيرية المعاصرة، مما يستدعي تحقيقاً علمياً مقارنةً لكشف معالم هذه السلطة في النص القرآني.

أهمية البحث:تنبع أهمية هذا البحث من كونه يعالج موضوعاً عقائدياً حساساً يمسّ وجدان المسلمين، ويشكل جزءاً من مستقبل الأمة الإسلامية، وأنّ الرجوع إلى القرآن الكريم كمصدر أساس في إثبات وجود الإمام المهدي وسلطته يضفي على العقيدة المهدوية صبغة إلهية وشرعية راسخة تتجاوز الجدل الروائي والمذهبي، ويعزز البحث كذلك من ثقافة الحوار بين المذاهب الإسلامية عبر قراءة مقارنة للتفاسير دون تعصب.

أهداف البحث:

1. بيان الأساس القرآني لفكرة الإمام المهدي (عج) وسلطته الإلهية.
2. تحليل الآيات القرآنية المرتبطة بالمهدوية تفسيراً عقائدياً.
3. المقارنة بين رؤى المفسرين من المدرستين السنية والشيعية حول موضوع السلطة الإلهية للإمام المهدي.
4. توضيح العلاقة بين مفاهيم الخلافة، الوعد الإلهي، وتمكين المستضعفين، وبين شخصية الإمام المهدي.
5. تصحيح المفاهيم المغلوطة التي تقلل من شأن الارتباط بين القرآن والمهدوية.

سبب اختيار البحث:جاء اختيار هذا الموضوع نتيجة لما لاحظه الباحث من ندرة الدراسات القرآنية التي تتناول المهدوية من زاوية السلطة الإلهية لا مجرد الحدوث التاريخي، ولرغبة في المساهمة بتقريب الرؤى بين المذاهب الإسلامية حول هذه الشخصية المستقبلية المهمة، انطلاقاً من مرجعية القرآن الذي يُعدّ القاسم المشترك بين جميع المسلمين، كما أن الموضوع يمس حاجة الأمة المعاصرة إلى الأمل بقيادة ربانية تصلح ما أفسده الظلم والضياع.

منهجية البحث: يعتمد البحث على المنهج التحليلي المقارن، حيث يتم تحليل النصوص القرآنية ذات الصلة، ومن ثم تتبع تفسيرات علماء المدرستين السنية والشيعية لها، كما يستعين الباحث بالمصادر التفسيرية القديمة والحديثة، مع الاستفادة من المنهج العقدي لفهم دلالات الآيات، فضلاً عن المنهج التاريخي في رصد تطور تفسير تلك الآيات وعلاقتها بفكرة الإمام المهدي، ويتم توثيق الأقوال بالمصادر المعتبرة، وعرضها بصورة علمية محايدة.

المبحث الأول

المفهوم القرآني للسلطة الإلهية وأساسها العقدي

تمثل السلطة الإلهية في المنظور القرآني مفهوماً عميقاً يرتبط بإرادة الله سبحانه في تولية من يشاء من عباده على الخلق، سواء في إطار النبوة أو الإمامة أو الخلافة. فالسلطة – بمفهومها القرآني – ليست مجرد منصب دنيوي يُنتخب له الإنسان أو يُمنح له من الجماعة، بل هي تفويض إلهي محض، يقوم على أساس الاصطفاء الإلهي، والعلم، والطهارة، والتكليف. وقد عرض القرآن الكريم نماذج متعددة لهذا النوع من السلطة، كخلافة آدم (عليه السلام)، وإمامة إبراهيم (عليه السلام)، ومُلك طالوت، مما يُشير بوضوح إلى أن تولية القادة الحقيقيين تتم وفقاً لمعايير إلهية دقيقة، لا وفقاً للأهواء البشرية أو المصالح الزمنية.

ويتأسس هذا المفهوم على عقيدة التوحيد التي تجعل الله تعالى هو المالك الحقيقي للملك والسلطان، وهو الذي "يُؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء" (آل عمران: 26). ومن ثم فإن أي سلطة تُمارس بحق وعدل لا بد أن تكون مستندة إلى إذن من الله وتفويض منه، وليس إلى شرعية ذاتية أو اجتماعية فقط.

وفي هذا السياق، تُعد السلطة الإلهية للإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف) امتداداً لهذا الفهم القرآني، بوصفه الإمام المُصطفى في آخر الزمان، الذي وُعِد بظهوره ليُقيم حكومة العدل، استناداً إلى إرادة الله وحكمته، لا مجرد توازنات سياسية أو تطورات بشرية، ومن هنا، يأتي هذا المبحث ليتناول المفهوم القرآني للسلطة الإلهية في جذوره التوحيدية والعقدية، ويؤسس لفهم موضوع الإمامة والمهدوية بوصفهما جزءاً من سنن الله في الاستخلاف والهداية الربانية للبشرية.

المطلب الأول: تعريف السلطة الإلهية وأبعادها العقدية

تُعد "السلطة الإلهية" من المفاهيم العقدية العميقة في الفكر الإسلامي، التي تتصل اتصالاً مباشراً بفكرة الخلافة والإمامة والقيادة الربانية للبشر، ويقصد بها: الولاية التي يمنحها الله تعالى لشخص معيَّن من عباده، ليمارس دوراً تكليفياً في هداية الناس وقيادتهم، بإذنٍ من الله وتفويضٍ منه، استناداً إلى مقاييس إلهية خاصة، كالعصمة والعلم والطهارة [1].

ويتميّز هذا النوع من السلطة بأنها لا تستند إلى رأي الأمة أو اختيار الناس، بل إلى الاصطفاء الإلهي، كما في قوله تعالى: "اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ"[2]، وقوله: "إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا"[3].

وقد عبّر المفسرون عن هذا المفهوم بمصطلحات متقاربة مثل: الولاية، الإمامة، الخلافة، والحاكمية الإلهية، وكلها تشير إلى كون الحاكمية الحقيقية لله وحده، وأن من يتولى أمور الناس بتكليف منه سبحانه، فإنه يمارس سلطة إلهية لها طابع ديني وعقائدي، وليس مجرد سلطة سياسية دنيوية [4].

ويختلف مفهوم "السلطة الإلهية" عن "السلطة الدنيوية" أو "السياسية" التي تستند إلى الإرادة الشعبية أو الظروف التاريخية، حيث إن الأولى تقوم على النص والتعيين من الله سبحانه، بينما الثانية تقوم على الاجتهاد البشري والتوافق الاجتماعي[5].

وفي ضوء ذلك، تُفهم سلطة الإمام المهدي (عج) على أنها سلطة إلهية خالصة، مستمدة من نصوص قرآنية وروايات نبوية تؤكد أن مهمته في إقامة العدل وبسط الحق هي جزء من التدبير الإلهي للبشرية في آخر الزمان، وتُعتبر السلطة الإلهية والسلطة الدنيوية نمطين مختلفين من أنماط الحكم والقيادة، يختلفان في الأساس العقدي والمصدر والمشروعية والوظيفة، فالسلطة الإلهية، كما جاء في القرآن الكريم، هي سلطة مفوَّضة من الله تعالى، يمنحها سبحانه لعبدٍ من عباده على وفق معايير إلهية خاصة، كالعصمة، والعلم، والتقوى، والاصطفاء، دون أن يكون للناس دورٌ في اختيار صاحبها. فهي سلطة قائمة على النص والتكليف الإلهي، كما في قوله تعالى: "اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ"[6]، أما السلطة الدنيوية، فهي سلطة تستمد شرعيتها من الإرادة البشرية، كالانتخاب، أو القوة، أو الوراثة السياسية، وتُبنى غالبًا على أسس اجتماعية، أو سياسية، أو عُرفية، وقد تكون عادلة أو ظالمة بحسب من يتولاها، ولا يشترط في صاحبها العصمة أو الاصطفاء.

يختلف مفهوم السلطة الإلهية عن السلطة الدنيوية اختلافًا جوهريًا من حيث المصدر والشرعية والشروط والوظيفة. فأول ما يُميز السلطة الإلهية هو أنها تستند إلى إرادة الله وتكليفه المباشر، أي أن الشخص الذي يُمنح هذه السلطة لا يُختار من قِبل الناس، بل يُصطفى من الله سبحانه وتعالى بناءً على صفات خاصة كالعصمة، والعلم، والطهارة، والتقوى. فالقيادة هنا ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالهداية الإلهية، وتُعد امتدادًا لخط النبوة، كما هو الحال في إمامة إبراهيم عليه السلام، التي قال الله عنها: "إني جاعلك للناس إمامًا[7]" .

أما السلطة الدنيوية، فهي سلطة قائمة على الاختيار البشري أو الغلبة أو الوراثة السياسية، حيث يُمنح القائد أو الحاكم صلاحياته بناءً على رغبة الأمة أو عبر أنظمة الحكم المعمول بها في المجتمع، لا يُشترط في صاحب هذه السلطة العصمة أو الطهارة، بل يكفي أن يتمتع بمهارات سياسية أو عسكرية أو إدارية تؤهله لإدارة شؤون الناس[8].

من جهة الشرعية، فإن السلطة الإلهية تستمد مشروعيتها من النصوص الشرعية، أي من الوحي الإلهي أو ما دلّ عليه الدليل القطعي، في حين أن السلطة الدنيوية تستمد مشروعيتها من رضا الناس أو القوانين الوضعية أو قوة السيطرة. كذلك تختلف الوظيفة الأساسية لكلا السلطتين. فالسلطة الإلهية تهدف إلى هداية الناس، وإقامة الحق، وتطبيق العدل المطلق وفق الشريعة الإلهية، بينما تهدف السلطة الدنيوية غالبًا إلى تنظيم شؤون الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وفقًا لما تراه الدولة أو المجتمع من مصالح [9].

ويترتب على هذا الفرق أن الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف) يُنظر إليه – في الرؤية القرآنية والعقائدية – على أنه صاحب سلطة إلهية مطلقة، لا يملك أحد أن يعزله أو يعيّنه؛ لأنه مُنصّبٌ من قبل الله تعالى، ومُكلّف بقيادة البشرية لتحقيق العدالة الإلهية في آخر الزمان.

تُشكّل السلطة الإلهية جوهر منظومة الإمامة في التصوّر القرآني، وهي ليست عنصرًا فرعيًا أو تفصيلًا طارئًا، بل الركيزة الأساسية التي تُبنى عليها مشروعية الإمام ووظيفته، فالإمامة في القرآن ليست مجرد قيادة سياسية أو دينية، وإنما هي منصب إلهي تكليفي، يُمنح لشخصٍ مخصوص باصطفاءٍ من الله، بعد أن يبلغ أعلى درجات الطهارة والعلم والابتلاء والثبات، ويُظهر القرآن هذا المعنى بوضوح في قوله تعالى: "إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا... " في هذه الآية، يُعلِن الله تعالى عن جعله المباشر لإبراهيم إمامًا للناس، بعد أن اجتازه في سلسلة من الابتلاءات العظيمة، وهذا "الجعل" لا يترك مجالًا للاجتهاد البشري أو الانتخاب الشعبي، بل هو تفويض إلهي خالص.

من هنا يتبيّن أن السلطة الإلهية هي الركن المؤسِّس لمنصب الإمامة، إذ بدون هذا الجعل الإلهي، لا يكون الشخص إمامًا بمعنى الهداية الربانية. فالإمام في القرآن ليس حاكمًا يدير الدولة فحسب، بل هو هادٍ بأمر الله، كما جاء في قوله تعالى: "وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا...[10]".

فالهداية هنا ليست عامة، بل هي هداية تكوينية خاصة، لا يملكها إلا من خوّله الله سبحانه وتعالى بها، مما يدل على ارتباط السلطة الإلهية بالإمامة ارتباطًا جوهريًا، وعليه، فإن الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف) لا يُنظر إليه فقط كمنقذ موعود، بل كإمام مفترض الطاعة، نُصّب بأمر من الله، ويحمل سلطة إلهية تمكنه من أداء دوره في قيادة البشرية نحو العدل الكامل، وهو ما تؤكده العديد من الآيات والروايات التي تتحدث عن الخلافة الإلهية في الأرض، وتمكين المستضعفين، وإقامة القسط[11].

المطلب الثاني: موارد السلطة الإلهية في القرآن الكريم

لقد عنيَ القرآن الكريم بإبراز مفهوم السلطة الإلهية عن طريق العديد من الآيات التي تؤكد أن القيادة الحقيقية للناس لا تكون إلا بإذن من الله سبحانه وتعالى، وأن من يتولى هذا المنصب لا بد أن يكون مصطفى من قبل الله، ومؤهلاً بمواصفات خاصة لا تتوفر إلا في من اختارهم الله لحمل أمانة الهداية والقيادة[12].

وتتعدد موارد السلطة الإلهية في القرآن بين الآيات التي تتحدث عن الخلافة الإلهية في الأرض، مثل قصة آدم عليه السلام، والآيات التي تشير إلى إمامة إبراهيم (ع)، والآيات التي تتناول تمكين المستضعفين في الأرض، كما في قصة بني إسرائيل، إلى جانب الآيات التي تتكلم عن الهداية بأمر الله، مما يكشف عن منظومة متكاملة تؤكد أن السلطة الإلهية حالة شرعية ربانية خاصة، تتجلى في أفراد اصطفاهم الله، وليس نتاج رغبة جماهيرية أو اتفاق سياسي، وفي هذا المطلب، سيتم استعراض أبرز النماذج القرآنية التي تُظهر كيف تُمنح هذه السلطة، ولمن تُعطى، وما هي الشروط التي حددها القرآن لمن يُكلّف بها، تمهيدًا لفهم موقع الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف) ضمن هذا الامتداد الإلهي[13].

أولًا: آيات الاستخلاف

قوله تعالى:﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[14].

تُعد هذه الآية من أوائل النصوص القرآنية التي تُشير إلى مبدأ السلطة الإلهية في الأرض. فقد أعلن الله عز وجل، في مطلع قصة خلق الإنسان، عن إرادته في أن يجعل له خليفةً في الأرض، وهو ما فسّره المفسرون بأنه منصب تكليفي عظيم، يتضمن الولاية على الأرض وقيادة الخلق[15].

لفظة "جاعل" هنا تدل على فعل إلهي إرادي محض، وليس قرارًا بشريًا أو نتاج مشاورة بين الخلق، وهذا يثبت أن الخلافة – كمنصب – هي جعل من الله سبحانه، يُمنح لمن يراه مؤهلاً لذلك، لا لمن يختاره الناس أو تفرضه الظروف. كما أن الاعتراض الملائكي (أتجعل فيها من يفسد فيها...) لم يُغيّر من عزم الله، بل جاء الرد الإلهي حاسمًا: ﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾، مما يعزز فكرة أن الاختيار الإلهي مبني على علم إلهي غيبي لا يحيط به غيره.وقد ذهب كثير من المفسرين الشيعة إلى أن هذا المبدأ يمتد ليشمل خط الإمامة، حيث تكون القيادة في الأرض على وفق مشيئة الله، وأن كل إمام حقيقي هو خليفة لله في أرضه، وأن هذا الخط مستمر حتى يبلغ ذروته في الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف)، الذي سيظهر ليُقيم حكم الله وعدله في الأرض[16].

ثانيًا: آيات الطاعة والولاية

قوله تعالى:﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[17].

تُبيّن هذه الآية مفهوم الطاعة الشرعية المركّبة، حيث جعل الله تعالى الطاعة له، ثم لرسوله، ثم لـ"أولي الأمر"، وهي الفئة الثالثة التي أثارت جدلًا وتفسيرًا واسعًا بين علماء المسلمين.

اللافت في الآية أن الله لم يكرّر لفظ "أطيعوا" مع "أولي الأمر"، بل قال: "وأولي الأمر منكم"، أي أن طاعتهم اندمجت في طاعة الرسول وطاعة الله، مما يدل على أنهم لا يأمرون إلا بما يأمر به الله ورسوله، أي أنهم معصومون عن الخطأ، لأن الطاعة المطلقة لا تُمنح إلا لمن كان معصومًا، وإلا لوقعت الأمة في التناقض بين طاعة الله وطاعة غيره [18].

وفقًا لتفسير مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، فإن "أولي الأمر" هم الأئمة الاثنا عشر المعصومون، المعيّنون من قِبل الله تعالى عبر نصوص الرسول (صلى الله عليه وآله)، ويأتي في طليعتهم الإمام علي (ع)، ويختمهم الإمام المهدي (عج)، الذي له الطاعة المفروضة على جميع الخلق، رغم غيبته، لأنه نائب الله على خلقه، وخليفته في الأرض، ومظهر لسلطته الإلهية في الزمان الأخير.

ثالثًا: آيات الاصطفاء والاجتباء

قوله تعالى:﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[19] في هذه الآية يردّ الله جل جلاله على المعترضين الذين كانوا يتساءلون لماذا يُختار محمد (صلى الله عليه وآله) رسولًا دون غيره من وجهاء قريش. فجاء الرد الإلهي واضحًا بأن الاختيار الإلهي ليس خاضعًا لمعايير بشرية أو اجتماعية، بل هو قائم على علم الله المطلق بمن هو أهلٌ لحمل الرسالة والقيادة [20].

"يجعل رسالته" هنا لا تعني فقط التبليغ، بل تشمل منظومة كاملة من المهام الإلهية التي يُحمّلها المختار، وتشمل الهداية، الحكم، التشريع، والقيادة الربانية، وهذا المنهج في الاصطفاء الإلهي لا يقتصر على الأنبياء، بل يمتد إلى الأوصياء والأئمة، لأنهم استمرار للخط الرسالي من حيث الوظيفة، وإن اختلفوا في عنوان النبوة.

من هذا المنطلق، فإن الإمام المهدي (عج)، وفقًا للرؤية القرآنية والعقائدية، مصطفىً من قبل الله سبحانه، وهو حجة الله في أرضه، اختاره الله بعلمه، كما اختار من قبله من الرسل والأئمة، ليحمل المسؤولية الكبرى في آخر الزمان، ويكون مظهرًا نهائيًا للسلطة الإلهية التي كانت تمثّل خط النبوة والولاية منذ آدم وحتى خاتم الأوصياء.

المطلب الثالث: العلاقة بين الإمامة والسلطة الإلهية في القرآن

تُعد الإمامة في المنظور القرآني منصبًا إلهيًا رفيعًا، يتجاوز المفهوم التقليدي للقيادة السياسية أو الاجتماعية، إلى كونها وظيفة ربانية تتضمن الهداية والتشريع والرعاية الإلهية للأمة. ومن هذا المنطلق، فإن العلاقة بين الإمامة والسلطة الإلهية هي علاقة جوهرية وتلازمية؛ أي أن الإمامة في حقيقتها هي تجلٍ من تجليات السلطة الإلهية في الأرض، ولا تنفك عنها في أصلها أو مضمونها. يتجلّى هذا الارتباط بوضوح في القرآن الكريم، ولاسيما في قوله تعالى:﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾[21] فالله سبحانه وتعالى يعلن عن جعله المباشر لإبراهيم إمامًا، بعد أن اجتاز سلسلة من الابتلاءات، وهذا الجعل الإلهي لا يُفهم إلا في سياق السلطة الإلهية، حيث يتولى الإمام موقعًا تكليفيًا لا يناله إلا من اصطفاه الله تعالى بعلمه وحكمته، فالآية لا تتحدث عن انتخاب أو ترشيح من الناس، بل عن تعيين إلهي مباشر[22].

كما تُوضح آيات أخرى مثل:﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾[23] أن الإمامة تتضمن الهداية بأمر الله سبحانه، وهي هداية خاصة لا تكون إلا بتأييد وتسديد إلهي، مما يدل على أن الإمام لا يمارس دوره بشكل ذاتي أو مستقل، بل هو مفوّض من قبل الله، أي أن الإمامة مظهر من مظاهر ممارسة السلطة الإلهية في واقع البشر[24].

وفي هذا السياق، فإن الإمام ليس مجرد قائد إداري أو سياسي، بل هو حلقة في سلسلة الهداية الإلهية، مهمته تحقيق إرادة الله في الأرض، بما يشمل إقامة العدل، تنفيذ الشريعة، والقيام بوظيفة حفظ الدين بعد النبي. وهذا المفهوم يتطابق تمامًا مع ما جاء في مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، التي ترى في الإمامة امتدادًا للنبوة من حيث الوظيفة، لا من حيث الوحي.

وينطبق هذا الترابط بأكمله على شخصية الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف)، الذي يُعد في الفكر القرآني والعقدي المظهر الكامل للسلطة الإلهية في آخر الزمان، فهو الإمام المفترض الطاعة، المعيَّن من قبل الله، سبحانه الغائب بحكمته، والحاضر بسلطته، الذي سيظهر ليقيم حكم الله العادل، بوصفه خاتم الأئمة وحجة الله على عباده [25].

وهكذا، فإن الإمامة والسلطة الإلهية في القرآن ليستا منفصلتين، بل هما وجهان لحقيقة واحدة: القيادة الإلهية للبشرية عبر المصطفين من عباده، التي تستمر حتى تتحقق الوعود الإلهية الكبرى بظهور الحق وزوال الباطل.

وفي الفكر الإسلامي، وبالأخص في مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، تُعتبر الإمامة امتدادًا طبيعيًا ومسؤولًا لخدمة رسالة النبوة بعد وفاة النبي محمد (صلى الله عليه وآله). فالنبي هو خاتم الأنبياء والمرسلين، ولكن المهمة في حفظ الدين وتبيين الأحكام والقيادة المستمرة للأمة لا تنتهي بانتهاء مرحلة الوحي، بل تستمر في شخص الأئمة المعصومين الذين يُكملون مسيرة النبوة في هدايتهم للأمة[26]

الإمامة بهذا المفهوم ليست وظيفة دنيوية أو منصبًا سياسيًا فحسب، بل هي مهمة ربانية مستمرة تشمل التبليغ، والحفظ، والتفسير، والتنفيذ للشريعة الإلهية، الإمام هو الذي يحفظ الدين من التحريف ويقود الأمة نحو الحق

الكامل، مستندًا إلى علم خاص ومنزلة إلهية تقربه إلى مقام النبي، وهذا ما يجعل الإمامة امتدادًا للنبوة من حيث الوظيفة والدور، لا من حيث الوحي الجديد.

ومن الدلالات القرآنية على تأييد الأئمة من الله تعالى:[27]

القرآن الكريم يحمل العديد من الآيات التي تشير إلى تأييد الله الخاص للأئمة والأنبياء في مهمة القيادة والهداية. من أبرز هذه الدلالات:

قوله تعالى:﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ تشير إلى أن الأئمة ليسوا قادة عاديين، بل إنهم مأمورون وموكلون من الله نفسه بهداية الناس، و"بأمرنا" تدل على تفويض إلهي مباشر.

قوله تعالى:﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ تؤكد على أن اختيار من يحمل الرسالة الإلهية من الناس هو من علم الله المطلق، لا يخضع للمصالح أو الاعتبارات البشرية، مما يدل على أن الأئمة هم مناصب إلهية خاصة. قوله تعالى:﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[28]، تشير إلى التأييد الإلهي للنبي ومن معه، وهو امتداد لما يحصل عليه الأئمة المعصومون من عون الله في قيادة الأمة.

والعصمة: هي الحماية الإلهية الخاصة التي تقي الإمام من الخطأ في الأمور الدينية والدنيوية المتعلقة بالقيادة والتشريع. والقرآن يلمّح إلى هذه الصفة في عدة مواضع منها: قوله تعالى في وصف الأنبياء:﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ... وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[29]، إذ يظهر أن المؤمنين الحقيقيين الذين يتبعون رسول الله هم بمنزلة خاصة في الحفظ والتأييد [30].

في قصة إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾[31]، حيث إن جعل إبراهيم إمامًا لا يكون إلا مع صفة العصمة التي تجعله قادرًا على قيادة الناس بالحق.

العلم اللدني: هو العلم الخاص الذي يمنحه الله للإمام، ويُميّزه عن العلم العادي المكتسب، ويشمل معرفة الدين، الأحكام، وحقائق الأمور الغيبية. قوله تعالى:﴿وَفَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[32]، يُفهم أن أهل العلم الحقيقي هم من يمتلكون تفسيرات وأسرار الآيات التي لا تدركها العقول العادية.

قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام:﴿فَتَلَقَّىٰ مِن لَّدُنْهُ كَلِمَاتٍ﴾[33]، ما يدل على أن العلم اللدني هو علم خاص يُنزل مباشرة من عند الله، وهو من خصائص الأنبياء والأوصياء.

وبالتالي، فإن الإمامة التي تمثل امتداد النبوة تقتضي وجود العصمة والعلم اللدني لضمان قيادة الأمة على هدى الله ووفقاً لشريعته.

المبحث الثاني

الإمام المهدي (عج) والسلطة الإلهية – دراسة مقارنة في التفسير الشيعي والسني

يُعتبر موضوع الإمام المهدي (عجّل الله فرجه الشريف) من أبرز القضايا العقدية والفكرية التي تميزت بها الثقافة الإسلامية، ولاسيما فيما يتعلق بمفهوم السلطة الإلهية ومصدرها، يشترك كل من المذهبين الشيعي والسني في الاعتقاد بظهور المهدي كقائد مصلح ينقذ الأمة ويقيم العدل، لكنهما يختلفان في كيفية فهم هذا الدور الإلهي، وأسس السلطة التي يحملها المهدي، وكيفية ارتباطها بالتفويض الإلهي [34].

في هذا المبحث، سيتم استعراض ومقارنة تفسيرات كل من المذهب الشيعي والمذهب السني حول شخصية الإمام المهدي وعلاقته بالسلطة الإلهية، مع التركيز على المصادر القرآنية والتفاسير المتعلقة بهذا الموضوع، تهدف الدراسة إلى إبراز أوجه التشابه والاختلاف في فهم السلطة الإلهية كمصدر شرعية الإمام المهدي، ودور هذه السلطة في تكوين مفهوم الإمامة والقيادة الروحية والسياسي، عن طريق هذه الدراسة، نسعى إلى تقديم رؤية متوازنة تعكس تعددية الفهم الإسلامي، وتوضح كيف تنبع شرعية الإمام المهدي من التكليف الإلهي، وكيف يتم تفسير هذه الشرعية في سياقات مذهبية مختلفة، مما يثري الفهم العام حول السلطة الإلهية ودورها في تاريخ الأمة الإسلامية ومستقبلها.

المطلب الأول: الآيات القرآنية المؤولة بالإمام المهدي (عج)

أولًا: الآية ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا﴾[35]

هذه الآية الكريمة من سورة القصص (آية 5) تتحدث عن نية الله تعالى في أن يُنصر ويُمكن المستضعفين الذين ظلموا في الأرض، وتُعبر عن وعد إلهي بنصرهم وإعانتهم في وجه الظلم والطغيان، يربط بعض المفسرين وعلماء الشيعة هذه الآية بمفهوم ظهور الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف)، باعتباره الشخصية التي سيُمنّ الله بها على المستضعفين في آخر الزمان، فظهور المهدي يمثل تحقيقًا عمليًا لوعد الله في تمكين المظلومين والقضاء على الظلم والفساد، إذ هو القائد الذي يُخرج العالم من ظلمات الجور والفساد إلى نور العدل والحق، إذًا، هذه الآية تؤكد أن السلطة والتمكين ليست من صنع البشر أو المصادفات السياسية، بل هي تنفيذ لوعد إلهي صريح يمنح الله به فرصة لرفع الظلم واستعادة العدالة.

ثانيًا: الآية ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ﴾[36]

هذه الآية من سورة الفرقان (آية 5) تشير إلى أن الله جل جلاله قد وثق وعده وأحداثًا مستقبلية في الكتب السماوية السابقة، ومنها "الزبور" الذي أُنزِل على النبي داود عليه السلام، ومن التفسيرات التي يُشير إليها بعض العلماء هو أن ذلك يشمل وعد الله بظهور القائم من آل محمد (صلى الله عليه وآله)، الإمام المهدي، وأن هذا الوعد ليس جديدًا أو مقتصرًا على القرآن الكريم فقط، بل هو جزء من خطة إلهية سماوية موثقة في الكتب السابقة، تعبر عن استمرارية الرسالة الإلهية وهداية البشر عبر الأزمان، هذا التأويل يعزز فكرة أن الإمام المهدي ليس شخصية عادية أو طارئة، بل هو موعود به عبر النصوص السماوية، وأن ظهور عدله وقيادته هو جزء من التنفيذ الإلهي للعهود والمواثيق السماوية.

ثالثًا: الآية ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ... لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾[37]

هذه الآية من سورة الصف (آية 9) تتحدث عن مهمة الرسول محمد صلى الله عليه وآله في إظهار دين الله وكماله على جميع الأديان، وتحقيق نصرته الكامل، هنا يؤكد القرآن أن الله سبحانه أرسل رسوله لتحقيق نصرة شاملة لدينه، وليس فقط مرحلة محدودة من النصر في التفسير الشيعي، يُربط هذا النص ارتباطًا وثيقًا بالإمام المهدي، باعتباره الذي سيُتمم مهمة النبي في تحقيق العدل وإظهار الدين على كل الدين، وهو استكمال لمسيرة الرسالة النبوية التي توقفت ظاهريًا بانتهاء حياة النبي ولكنها مستمرة في الإمام المهدي الذي يُراد به أن يقيم دين

الله كاملاً على الأرض، فالإمام المهدي يمثل القوة الإلهية المكملة لمسيرة النبي، والمفوض من الله ليُظهر الدين الكامل ويُقيم العدل العالمي.

بهذه الطريقة، تجتمع هذه الآيات في إطار قرآني عام يعكس وعد الله بنصرة المستضعفين، وبتثبيت عهد إلهي في الكتب السابقة، وبمهمة إلهية تستمر عبر القائمين بعد النبي لتحقيق النصر الكامل للدين، مما يجعل الإمام المهدي شخصية مركزية في هذه الرؤية الإيمانية القائمة على السلطة الإلهية والتمكين الرباني[38].

المطلب الثاني: التفسير الشيعي والتفسير السني للآيات المتعلقة بالإمام المهدي

في الفكر الشيعي، تُعد الآيات القرآنية التي تُشير إلى نصرة المستضعفين، وإظهار الدين الكامل، والكتب السماوية السابقة التي تحدثت عن وعد الله، من أبرز الأدلة التي تدعم عقيدة الإمامة والمهدي المنتظر، في هذا السياق، يُنظر إلى الإمام المهدي كشخصية إلهية مُعيّنة من الله تعالى، يحمل السلطة الإلهية المطلقة لقيادة الأمة نحو الحق والعدل، فالإمام المهدي في التفسير الشيعي ليس مجرد قائد سياسي أو مصلح عادي، بل هو المظهر الحي للسلطة الربانية على الأرض، وهو القائم الذي سيملأ الأرض قسطًا وعدلاً بعد أن ملئت جورًا وظلمًا، كما تشير الآيات مثل قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعَفُوا﴾، فهذه الآية تُفهم في ضوء العقيدة الشيعية كوعْد إلهي حقيقي بتمكين المهدي من المستضعفين، وتحقيق العدالة الإلهية في الأرض، وكذلك، آية ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ تُفسر على أن الوعد بظهور المهدي ليس أمرًا جديدًا في الإسلام فقط، بل هو وعد مستمر وثابت منذ الكتب السماوية السابقة، ما يعزز مكانة المهدي كشخصية موعودة تحمل رسالة إلهية مستمر [39].

أما آية ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ... لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾، فيُنظر إليها في التفسير الشيعي على أنها تعكس الهدف النهائي من بعثة النبي محمد (صلى الله عليه وآله) والذي يكمله ويُتممه الإمام المهدي، حيث يكون الإمام هو الذي سيحقق النصر الكامل للدين ويُظهره على جميع الأديان، مما يدل على امتداد القيادة النبوية إلى الإمامة التي يتمتع فيها المهدي بالعلم والعصمة، وبالتالي فهو الذي يحمل السلطة الإلهية كاملةً ليعيد العدل الإلهي ويقيم حكم الله على الأرض.

أما في التفسير السني، فالتعامل مع هذه الآيات يكون أكثر عمومية وتفسيرًا ضمن سياقات أوسع، عادةً ما تُفهم هذه الآيات على أنها تعبر عن وعد الله بنصرة المؤمنين والمظلومين في كل زمان ومكان، وليس بالضرورة ربطها مباشرة بشخصية محددة كالإمام المهدي، فمثلاً، الآية ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعَفُوا﴾ تُفسر غالبًا على أنها إعلان عام من الله سبحانه لنصرته للمؤمنين الذين تعرضوا للضعف والظلم عبر التاريخ، وليس كدلالة محددة على شخصية أو بعثة مستقبلية [40].

فيما يخص آية ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ﴾، فغالبًا ما يُنظر إليها في التفاسير السنية على أنها تأكيد على صدق الكتب السماوية والعهود التي قطعها الله مع رسله، وليست بالضرورة إشارة خاصة إلى المهدي أو أي شخصية مستقبلية، وإنما دلالة على استمرارية الرسالة الإلهية والتزام الله بتنفيذ وعوده في إطار أوسع.

أما آية ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ... لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ فالتفسير السني يشدد على أنها تتحدث عن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) نفسه، الذي أرسله الله سبحانه لتحقيق انتصار دين الإسلام على باقي الأديان في معناه العام والشامل، دون ربطها بشكل خاص بشخصية الإمام المهدي المنتظر.

وبذلك، يختلف التفسير السني عن الشيعي في أن الأول يركز على الأبعاد العامة للنصوص، ويرى في المهدي شخصية تاريخية أو مستقبلية لها دور إصلاحي، لكنها ليست شخصية محورية ذات سلطة إلهية أو عصمة كما هو مفهوم الإمامة عند الشيعة [41].

يمكن القول إن التفسير الشيعي يرى في هذه الآيات أدلة حاسمة على السلطة الإلهية الخاصة التي يمتلكها الإمام المهدي كخليفة الله في الأرض، المكلّف بإتمام الدين وتحقيق العدل الإلهي، بينما التفسير السني يفسر هذه النصوص ضمن إطار عام لوعد الله بنصرة الحق والعدل دون التركيز على شخصية بعينها أو مفهوم الإمامة المخصوص.

الشيخ الطبرسي من أبرز مفسري الشيعة الذين تناولوا الآيات المتعلقة بالإمامة والمهدي بتفصيل عميق، في تفسيره، يربط الطبرسي كثيرًا بين الآيات التي تتحدث عن المنّة على المستضعفين وظهور الإمام المهدي، فهو يرى أن قوله تعالى ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعَفُوا﴾ هو وعد إلهي خاص بالمستضعفين الذين يمثلون جماعة أهل البيت عليهم السلام، وأن تحقيق هذا الوعد يتم عن طريق قيام الإمام المهدي الذي يظهر في آخر الزمان ليُقيم العدل وينصر المستضعفين.

وفي تفسير آية ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ يشير الطبرسي إلى أن الكتب السماوية السابقة لم تنسَ وعد الله بظهور الإمام المهدي، وأن هذه الشخصية هي استمرار للرسالة الإلهية التي لم تنقطع بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، بل تستمر في أهل البيت، وهذا يعكس التقدير العالي لمقام الإمامة[42].

أما آية ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ... لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾، فيفسرها الطبرسي على أنها دلالة على أن النبي محمد صلى الله عليه وآله قد كُلّف بتبليغ الرسالة، والمهدي هو الذي سيُتمم ويُظهر الدين حقًا وعدلاً، وهو المكلف بتنفيذ وعد النصر النهائي، مما يؤكد امتداد السلطة الإلهية من النبي إلى الإمام المهدي.

من تفسير الشيخ الطبرسي – مجمع البيان (تفسير آية ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعَفُوا﴾) قال الطبرسي في تفسيره: "هذه الآية نزلت في قصة موسى عليه السلام، وتبين نية الله في تمكين المستضعفين من الظالمين، وأولى الناس بهذه المنّة هم أولياء الله وأهل بيته، وفي آخر الزمان يُعطى هذا الوعد الخاص بقائم آل محمد (صلى الله عليه وآله)، الذي يظهر ليُقيم العدل وينصر المستضعفين ويُطفئ نار الفساد، وهذا يدل على أن المهدي هو الذي يُحقّق المنّة الإلهية على المستضعفين في آخر الزمان، وهو جزء من خطة الله الإلهية لاستمرار العدل والحق[43].

والشيخ العياشي، المعروف بتفسيره التفصيلي والمعتمد على الأحاديث النبوية والأئمة المعصومين، يربط تأويل الآيات السابقة ارتباطًا وثيقًا بمسألة الإمامة الإلهية والولاية. يرى العياشي أن ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعَفُوا﴾ تشير إلى وعد الله لأهل البيت، وهم المستضعفون الحقيقيون الذين يعانون من ظلم الطغاة.

ويؤكد العياشي أن الآية ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ هي إثبات لثبات العهد الإلهي في النصوص السماوية، وأن المهدي هو الموعود الذي يحقق هذا العهد في الزمن، وهو الإمام الذي يحمل العلم والعصمة.

في تفسيره لآية ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ... لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ يشير العياشي إلى أن إظهار الدين الكامل والعادل يتم عبر الإمامة والولاية التي هي حق خاص لله ولأوليائه من أهل البيت، وأن المهدي هو الذي يُظهر هذا الدين بعد النبي، مؤكدًا على العلاقة بين الإمامة والسلطة الإلهية [44].

من تفسير الشيخ العياشي (تفسير آية ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ﴾): ورد في تفسير العياشي: "الزبور الذي ذكره الله هو كتاب داود عليه السلام، وقد ورد فيه ذكر الائمة والأنبياء الموعودين، ومِن بعد الذكر أي بعد القرآن، أي أن الله قد وثّق وعد الائمة وأهل البيت في الكتب السابقة، وأن القائم منهم سيظهر لتحقيق ذلك الوعد الإلهي وإتمام الدين وهذا النص يوضح الاعتقاد الشيعي بأن الإمام المهدي مذكور وموعود به في كل كتب السماء، ويعتبر استمرارًا لوعد الله في نصرة الدين.

والشيخ البحراني، من علماء القرن الحادي عشر الهجري، عالج موضوع الإمامة والمهدي بشكل فلسفي وعقائدي عميق، ورأى أن الآيات التي تتحدث عن المنّة على المستضعفين ودور النبي في إظهار الدين تتطلب وجود شخص معصوم ومكلف لتحقيق الوعد الإلهي[45].

بحسب تفسير البحراني، فإن الإمام المهدي هو ذلك الشخص الموعود، الذي يمثل استمرار السلطة الإلهية المتمثلة في الإمامة. إذ يرى أن ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعَفُوا﴾ ليس مجرد تعبير عن نصر عادي، بل عن تكليف خاص بمنح السلطة والتمكين للمستضعفين عبر ظهور الإمام المهدي.

وفيما يخص آية ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ﴾، يعتبرها البحراني دليلاً على أن الوعد الإلهي بالمهدي ليس جديدًا بل مستمر عبر الأزمان، وهي إشارة إلى أن الإمام المهدي مرتبط بسنن إلهية ثابتة تتجدد في كل عصر.

أما الآية ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ فيرى البحراني أنها تعني أن مهمة النبي ليست مجرد تبليغ الرسالة فحسب، بل إظهار الدين وفرضه على كل البشر، وهو دور يُكمل الإمام المهدي الذي يأتي لإتمام ذلك بسلطة إلهية خاصة.

من تفسير الشيخ البحراني (تفسير آية ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾):

قال البحراني: "المراد بهذه الآية هو النبي محمد صلى الله عليه وآله، ولكن إظهار الدين الكامل لا يقتصر عليه وحده، بل يمتد إلى الإمام المهدي الذي هو خليفته في الأرض، والذي يظهر ليُتمم مهمة إظهار الدين ويُقيمه على العدل والحق، فهو حامل السلطة الإلهية المكملة لما بدأه النبي". وهذا يعكس فكرة التكامل بين النبي والإمام المهدي في مهمة إظهار الدين وقيادة الأمة، وهو من أهم أسس العقيدة الإمامية [46].

بهذا نلاحظ أن كبار المفسرين الشيعة يربطون هذه الآيات ارتباطًا وثيقًا بمفهوم الإمامة والمهدي المنتظر، معتبرين أن هذه الآيات تشكل أساسًا عقديًا يؤكد وجود السلطة الإلهية الخاصة الممنوحة للمهدي كقائد إلهي معصوم مكلف بقيادة الأمة وتحقيق العدل الإلهي.

وفي تفسير الطبري، يُرى أن الآيات التي تتحدث عن المنّة على المستضعفين مثل قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا﴾ تشير إلى نصر الله للمؤمنين والمظلومين بشكل عام، ولا تُحصر في شخصية بعينها، فهي تدل على وعد إلهي عام يُكرّم به الله عباده المؤمنين في مواقف كثيرة عبر التاريخ، سواء كان ذلك بواسطة الأنبياء أو القادة الصالحين أو الحكام العادلين. الطبري لا يربط هذه الآيات تحديدًا بشخص الإمام المهدي، بل يرى أن النصر والتمكين إلهيان عامان قد يظهران في أي وقت(47).

وبالنسبة لآية ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ﴾، يرى الطبري أن هذه الآية تؤكد أن الله وثّق وعده في الكتب السماوية السابقة، وأن الرسالة التي جاء بها النبي محمد صلى الله عليه وسلم هي استكمال لها، لكنها لا تشير بشكل خاص إلى المهدي أو أي شخصية مستقبلية، الآية تُفسر كتعزيز لمصداقية الرسالات السماوية واستمرارية الوعد الإلهي، وليس دلالة محددة على قيادة معينة.

أما في تفسير القرطبي، فإنه يفسر آية ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ... لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ على أن المقصود هو النبي محمد صلى الله عليه وسلم نفسه، وأن مهمته هي نشر الإسلام وتثبيته على وجه الأرض، دون ربط هذه المهمة بشخصية مهدي أو إمام خاص، فالقرطبي يؤكد شمولية رسالة النبي وانتصار دين الإسلام في زمنه وزمن من بعده بفضل الله، وليس عن طريق شخص معين يحمل سلطة إلهية خاصة كالشيعة(48).

أما الرازي، فيُفسر هذه الآيات من منظور عقلي وفلسفي، حيث يربط بين النصوص القرآنية والواقع التاريخي للدين، ويرى أن النصوص تدل على حقائق عامة عن نصر الله للحق وتحقيق العدالة، ولا يلتزم بربطها بشخصيات محددة في نظر الرازي، إظهار الدين على كل الأديان هو مهمة مستمرة عبر الأجيال، يتحقق بجهود المسلمين كافة، وليس بظهور شخص معين كالمهدي(49).

ونقاط الاتفاق والاختلاف بين أهل السنة والتفسير الشيعي في تفسير السلطة الإلهية للمهدي:

على مستوى الاتفاق، يتفق المفسرون من أهل السنة والشيعة على أن الله جل جلاله ينصر المستضعفين، وأنه يحقق وعده في تثبيت الدين وإظهار الحق، وهذه المفاهيم متشابهة في جوهرها، كذلك يتفق الجميع على أن الدين الإسلامي هو الدين الحق الذي سيظهر على سائر الأديان، وأن النبي محمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء.

لكن الخلاف الجوهري يكمن في كيفية تفسير ذلك الظهور والنصر، فالتفسير الإمامي يربط هذه الآيات بشخصية الإمام المهدي المنتظر، الذي هو خليفة الله على الأرض، وله سلطة إلهية خاصة وعصمة علمية تميّزه، وهو القائد الذي سيُظهر الدين ويملأ الأرض عدلاً بعد ظلم وجور.

أما في التفسير السني، فالآيات تُفهم بشكل عام ولا تُربط بشخصية محددة، ولا تُعطي للمهدي هذه السلطة الإلهية والعصمة الخاصة، وإنما يُنظر إليه في بعض التفاسير السنية كشخصية إصلاحية ستظهر في آخر الزمان، لكنها ليست ذات صفة إلهية أو عصمة، ولا تحمل سلطة إلهية بالمعنى العقدي.

المطلب الثالث: السلطة الإلهية للمهدي (عج) بين الرؤية العقدية والسياسية

السلطة الإلهية للمهدي (عج) هي مفهوم له وجهان مهمان، كل واحد منهما ينظر للموضوع من زاوية مختلفة.

أولاً، من الناحية العقدية، خصوصاً في الفكر الشيعي، المهدي هو الشخص الذي اختاره الله بنفسه ليكون قائد البشرية بعد النبي محمد صلى الله عليه وآله، هذه السلطة ليست مجرد سلطة سياسية عادية، بل هي سلطة من الله نفسه، أي أن المهدي يملك قوة وتوجيه مباشر من الله سبحانه في كل قراراته، سواء أكانت دينية أم اجتماعية، الناس يجب أن يطيعوه لأنه ليس زعيماً عادياً، بل هو من الله سبحانه ، وهو معصوم لا يخطئ ولا يضل، وهذا يجعل طاعته واجبة كما يطيعون الله ورسوله. باختصار، في هذه النظرة، السلطة التي يمتلكها المهدي هي امتداد لحكم الله على الأرض[50].

لكن لما ننظر إلى الموضوع من الناحية السياسية، نلاقي أن بعض المسلمين ينظرون إلى المهدي كشخص سيظهر في آخر الزمان ليصلح أحوال الناس ويعيد العدل، لكن هذه السلطة السياسية ليست بالضرورة أن تكون من الله بشكل مباشر، بل هي سلطة بشرية أو اجتماعية يكتسبها المهدي لأن الناس يتبعونه ويؤمنون بقيادته. يعني هنا، المهدي زعيم مصلح ومقاتل للظلم، لكن طاعته تعتمد على قبول الناس له، وليس لأن الله منحه السلطة بشكل خاص، هذا يجعل السلطة في هذه الرؤية مؤقتة وأقل ارتباطاً بالعصمة والولاية الإلهية.في النهاية، الفرق بين الرؤيتين هو أن العقيدة تعطي للمهدي دورًا إلهيًا حصريًا وسلطة مطلقة من عند الله، بينما السياسة ترى في المهدي قائدًا بشريًا يُؤيد ويُتبع لأنه صالح فقط، وليس لأنه معصوم أو منتخب من الله مباشرة [51].

هذا الاختلاف يؤثر كثيرًا على كيف ينظر الناس للمهدي وكيف يتصرفون معه، هل هو فوق كل نقاش وطاعة أمره فرض، أم هو زعيم يمكن مناقشته وأخذ رأي الناس فيه.

في التراث الإسلامي، خاصة عند الشيعة، يُعتبر الإمام المهدي (عجل الله فرجه) خليفة الله على الأرض في آخر الزمان، هذا يعني أنه ليس فقط قائداً سياسياً، بل ممثل السلطة الإلهية بشكل مباشر، الذي يُكلف بمهمة إتمام الدين وتحقيق العدل الإلهي على الأرض، هذه الخلافة ليست تشريفًا أو منصبًا سياسيًا عاديًا، بل هي ولاية إلهية تنزل على المهدي بقدرة الله، تمنحه حق التشريع والحكم، وترافقها العصمة التي تحميه من الخطأ.

أما في الفكر السني، فالمهدي شخصية مصلح سياسي مهم، يظهر ليعيد العدل وينهي الفساد، لكنه لا يحمل بالضرورة صفة "الخليفة الإلهي" بمعنى الولاية الحصرية من عند الله، بل يُنظر إليه كحاكم عادل يظهر بإذن الله ليملأ الأرض قسطًا وعدلاً، بناءً على قدرته وصفاته، وليس بنص إلهي مباشر أو عصمة.

سلطة الإمام المهدي في الفكر الشيعي تتضمن بعدين أساسيين:[52]

1. البعد الروحي: إذ هو قائد معصوم، يحمل الولاية الإلهية، مرشد ديني لا يُخطئ في أمر من أمور الدين، وهو القطب الروحي الذي يرتبط الناس به في جميع جوانب حياتهم الدينية والروحية، ويتلقى منه الهداية الحقيقية.
2. البعد السياسي: كون المهدي خليفة الله، فهو الحاكم الذي يُطبّق قوانين الله على الأرض، ويُقيم نظامًا عادلًا سياسيًا واجتماعيًا، يحارب الظلم والطغيان، ويؤسس حكمًا يسوده السلام والعدل.

في الفكر السني، البعد السياسي هو الأبرز، والبعد الروحي أقل وضوحًا. يُنظر للمهدي كقائد عادل سياسي وروحي، لكنه لا يُفهم كمعصوم أو كخليفة إلهي يحمل ولاية مطلقة، وإنما كحاكم صالح يظهر ليصلح الأمة.

وفي الفكر الشيعي الإمامي، الإمامة هي الأساس، وهي ولاية إلهية تضمن استمرار الرسالة النبوية. الإمام المهدي هو تجسيد هذه الإمامة في آخر الزمان، وصلاحياته تشمل كل أبعاد الحكم: التشريع، التنفيذ، والقيادة الروحية. لا يُنتخب بالناس، ولا تُنتزع منه السلطة، لأنه موصوف بالعصمة والاختيار الإلهي.

بهذا الشكل، نرى أن الإمام المهدي يمثل في الشيعة خليفة الله وروح الحكم الإسلامي الحيّ، بينما في الفكر السني هو رمز سياسي وروحي للإصلاح والعدل في آخر الزمان، مع اختلافات واضحة في مصدر وطبيعة السلطة التي يحملها.

الخاتمة

أولا: إن مفهوم السلطة الإلهية للمهدي (عجّل الله فرجه) يحمل أبعادًا عميقة ومتنوعة بين الرؤية العقدية والرؤية السياسية، وبين الفكر الشيعي والفكر السني. فبينما يؤمن الشيعة الإمامية بأن المهدي هو الخليفة الإلهي المعصوم الذي يحمل ولاية الله المطلقة على الأرض، تبرز عند أهل السنة صورة المهدي كقائد مصلح سياسي وروحي يظهر في آخر الزمان ليعيد العدل ويصلح أحوال الأمة، دون أن يحمل سلطة إلهية خاصة أو عصمة مطلقة.

ثانيا: هذا التباين في الفهم يعكس اختلافات جذرية في نظريات الحكم الإسلامي، ومدى ارتباط السلطة بمصدر إلهي مباشر أو بشرية اجتماعية، ومع ذلك، يبقى الإمام المهدي رمزًا قويًا للأمل في تحقيق العدالة والحق، وتحقيق التوازن بين الروحانية والسلطة السياسية، مما يربط بين الدين والحياة في أسمى صورها.

ثالثا: فهم هذه الاختلافات لا يثري فقط الدراسة العلمية والدينية، بل يساعد في تعزيز الحوار والتفاهم بين المسلمين، ويحفز على البحث المستمر عن آليات تطبيق الحكم العادل الذي ينشده الجميع في ضوء قيم الإسلام ومبادئه السامية.

رابعا: توصلت الباحثة إلى ان قضية الامام المهدي لها حضور متباين في التراث الإسلامي فبعض المسلمين يرى أن الإمام ينحصر في سلسلة الامة بينما يراه الاخر أنه إلى الآن لم يولد هو شخصية مستقبلية.

خامسا: إنّ السلطة الإلهية إنما جاءت من النصوص القرانية الدالة على الاستخلاف والاصطفاء نصا والصفات التي دلت عليها سرد الايات مثل العصمة والعلم وغيرهن.

الهوامش:

(1) النيسابوري، أبو عبدالله محمد، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990، ص119.

(2) سورة الأنعام: الاية 124.

(3) سورة البقرة: الاية 124.

(4) النصيري، كاظم، اهل البيت في الكتاب المقدس، ط1، دار صادر، بيروت، 1997، ص54.

(5) النعماني، محمد بن إبراهيم، الغيبة، تحقيق: علي اكبر الغفاري، قم المقدسة، 1426، ص65.

(6) سورة الأنعام: الاية 124.

(7) سورة البقرة: الاية 124.

(8) المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار، مؤسسة الوفاء، بيروت، د.ت، ص121.

(9) الكوفي، أبو قاسم فرات، تفسير فرات الكوفي، تحقيق: الكاظم محد، طهران، 1990، ص76.

(10) سورة الأنبياء:الاية 73 .

(11) الكاشاني، محسن، المحجة البيضاء في تهذيب الاحياء، تحقيق: علي اكبر غفاري، مكتبة الصدوق، طهران، 1960، ص55.

(12)التميمي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، الفَرق بين الفِرَق وبيان الفرقة الناجية منهم، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة،1988،ص65.

(13) سورة البقرة: 30.

(14) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، تحقيق: علي اكر الغفاري، ط5، دار الكتب الإسلامية، قم، 1363، ص121.

(15) كيلاني، محمد سيد، الملل والنحل (كتاب الملل والنحل)، دار المعرفة، بيروت، لبنان،1984،ص65.

(16) النووي، الامام أبي زكريا يحيى بن شرف، روضة الطالبين وعمدة المفتين،المكتب الإسلامي . بيروت، لبنان، ط3، 1991، ص32.

(17)سورة النساء: 59.

(18) الشيخ الطوسي، الغيبة، دار المعارف الإسلامية، قم، 1411، ص76.

(19) سورة الأنعام: 124.

(20) الصدوق، محمد بن علي، كمال الدين وتمام النعمة،صححه، علي اكبر غفاري، طهران، 1390، ص175.

(21) سورة البقرة: الاية 124.

(22) الشبلنجي، مؤمن بن حسين بن مؤمن،نور الابصار في مناقب ال النبي المختار، قدم له: عبد العزيز محمد، ط1، مطبعة البابي الحلبي، دمشق، 1948، ص223.

(23) سورة الأنبياء: الاية 73.

(24) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس،د.ط، 1984، ص33.

(25) الاسترابادي، علي الحسيني،تاويل الايات، مؤسسة النشر الإسلامي، 1409، ص554.

(26) الالوسي، شهاب الدين محمود ابن عبدالله الحسيني، روح المعاني في تفسير القران العظيم، تحقيق: عطية علي عبد الباري، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415، ص290.

(27) العاملي، محمد بن الحر، اثبات لهداة بالنصوص والمعجزات، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، 1425،ص75.

(28) سورة هود: الاية 112.

(29) سورة النور: 52.

(30) الفيض الكاشاني، التفسير الصافي، ط2، مكتبة الصدر، طهران، 1416،ص433.

(31) سورة البقرة: 124.

(32) سورة البقرة: 2.

(33) سورة النساء: 164.

(34) الفيض الكاشاني، ص22.

(35) سورة القصص : آية 5.

(36) سورة الفرقان :آية 5.

(37) سورة الصف :آية 9.

(38) القرطبي، محمد بن احمد، تفسير القرطبي الجامع لاحكام القران، تحقيق: احمد البردوني، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1964، ص20.

(39) القندوزي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودة، وضع المقدمة، مهدي الخرسان، دار الكتب العراقية، العراق، 1386، ص855.

(40) المصدر نفسه، ص856.

(41) بن طاووس، رضي الدين، مهج الدعوات ومنهج العبادات، دار الذخائر، قم، 1411،ص33.

(42) بن حنبل، احمد، حياة الرسول والصحابة، في فضائل الصحابة،جامعة ام القرى، 1983، ص211.

(43) القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي، تحقيق: السيد طيب الجزائري، ط3، مؤسسة دار الكتاب، قم، 1404،ص285.

(44) العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي،تحقيق: هاشم الرسولي، ط1، الكتبة العلمية الإسلامية، طهران، 1380، ص11.

(45) البحراني،هاشم، البرهان في تفسير القران، مؤسسة الاعلمي، بيروت–لبنان، د.ت، ص22.

(46) البحراني،هاشم، ص544.

(47) المصدر نفسه، ص23.

(48) القرطبي، محمد بن احمد، تفسير القرطبي الجامع لاحكام القران، تحقيق احمد البردوني، إبراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1964، ص76.

(49) الرازي، أبو عبدالله محمد بن عمر، التفسير الكبير، دار احياء التراث العربي، بيروت، 1420 ص34.

(50) الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن، القران، مجمع البيان لعلوم القران، صححه فضل الله الرسولي، ط8، قم، 1424، ص282.

(51) المصدر نفسه، ص284.

(52) الطباطبائي، السيد محمد حسين، الميزان في تفسير القران، ط1، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، 1997، ص438.

المصادر والمراجع:

–القران الكريم

1. ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس،د.ط، 1984.
2. الاسترابادي، علي الحسيني،تاويل الايات، مؤسسة النشر الإسلامي، 1409.
3. الالوسي، شهاب الدين محمود ابن عبدالله الحسيني، روح المعاني في تفسير القران العظيم، تحقيق: عطية علي عبد الباري، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415.
4. البحراني،هاشم، البرهان في تفسير القران، مؤسسة الاعلمي، بيروت–لبنان، د.ت.
5. بن حنبل، احمد، حياة الرسول والصحابة، في فضائل الصحابة،جامعة ام القرى، 1983.
6. بن طاووس، رضي الدين، مهج الدعوات ومنهج العبادات، دار الذخائر، قم، 1411.
7. الرازي، أبو عبدالله محمد بن عمر، التفسير الكبير، دار احياء التراث العربي، بيروت، 1420
8. الشبلنجي، مؤمن بن حسين بن مؤمن،نور الابصار في مناقب ال النبي المختار، قدم له: عبد العزيز محمد، ط1، مطبعة البابي الحلبي، دمشق، 1948.

9. الشيخ الطوسي، الغيبة، دار المعارف الإسلامية، قم، 1411.
10. الصدوق، محمد بن علي، كمال الدين وتمام النعمة،صححه، علي اكبر غفاري، طهران، 1390.
11. الطباطبائي، السيد محمد حسين، الميزان في تفسير القران، ط1، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، 1997.
12. الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن، القران، مجمع البيان لعلوم القران، صححه فضل الله الرسولي، ط8، قم، 1424.
13. العاملي، محمد بن الحسن بن علي الحر، اثبات لهداة بالنصوص والمعجزات، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، 1425.
14. العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي،تحقيق: هاشم الرسولي، ط1، الكتبة العلمية الإسلامية، طهران، 1380.
15. الكاشاني،الفيض،محسن بن مرتضى، التفسير الصافي، ط2، مكتبة الصدر، طهران، 1416.
16. القرطبي، محمد بن احمد، تفسير القرطبي الجامع لاحكام القران، تحقيق: احمد البردوني، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1964.
17. القرطبي، محمد بن احمد، تفسير القرطبي الجامع لاحكام القران، تحقيق احمد البردوني، إبراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1964.
18. القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي، تحقيق: السيد طيب الجزائري، ط3، مؤسسة دار الكتاب، قم، 1404.
19. القندوزي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودة، وضع المقدمة، مهدي الخرسان، دار الكتب العراقية، العراق، 1386.
20. الكاشاني، محسن بن مرتضى، المحجة البيضاء في تهذيب الاحياء، تحقيق: علي اكبر غفاري، مكتبة الصدوق، طهران، 1960.
21. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، تحقيق: علي اكر الغفاري، ط5، دار الكتب الإسلامية، قم، 1363
22. الكوفي، أبو قاسم فرات، تفسير فرات الكوفي، تحقيق: الكاظم محد، طهران، 1990.
23. المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار، مؤسسة الوفاء، بيروت، د.ت.
24. النصيري، كاظم، اهل البيت في الكتاب المقدس، ط1، دار صادر، بيروت، 1997.
25. النعماني، محمد بن إبراهيم، الغيبة، تحقيق: علي اكبر الغفاري، قم المقدسة، 1426.
26. النيسابوري، أبو عبدالله محمد، المستدرك على الصحيحين،تحقيق: مصطفى عبد القادر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990.

27. التميمي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، الفَرق بين الفِرَق وبيان الفرقة الناجية منهم، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة،1988.
28. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، تحقيق: علي اكر الغفاري، ط5، دار الكتب الإسلامية، قم، 1363.
29. كيلاني، محمد سيد، الملل والنحل (كتاب الملل والنحل)، دار المعرفة، بيروت، لبنان،1984.
30. النووي، الامام أبي زكريا يحيى بن شرف، روضة الطالبين وعمدة المفتين، المكتب الإسلامي . بيروت، لبنان، ط3، 1991.